دراكولا

برام ستوكر

النبراس
للطباعة و النشر

دراكولا

(رواية)

بقلم :

برام ستوكر

ترجمة :

نشوان زيد علي عنتر

٢٠٢٤ م

النبراس

للطباعة و النشر

صنعاء

مقدمة :

كتب الكاتب البريطاني برام ستوكر رواية (دراكولا) عام ١٨٩٧م التي تدور أحداثها خلال القرن الخامس عشر الميلادي في إقليم ترانسلفانيا التابع حاليا لجمهورية رومانيا (رغم عدم وجودها في الخرائط الحديثة اليوم) حول أميرها المتوحش دراكولا الذي قتل العديد من البشر بأساليب مروعة يشيب لها الولدان و يندى لها الجبين من بينها رميهم على الخوازيق الحادة المثبتة على الأرض من أعلى قمم الجبال ..... و غيرها من القصص المروية لدى العامة عن هذا السفاح الدموي و وحشيته المفرطة داخل بلاده و خارجها حتى بعد وفاته حتف أنفه[١] داخل قلعته الجبلية النائية .

ظن الناس أن خطره زال بعد رحيله عن الدنيا إلى الأبد غير مأسوف عليه ليفاجأوا مذعورين بعدم عثورهم على جثته مطلقا داخل القلعة و يسود لديهم إعتقاد راسخ توارثوه جيلا إثر جيل بأنه مازال على قيد الحياة .

ظل سكان ترانسلفانيا خلال زمن الرواية يعتقدون بوجود مصاصي الدماء على قيد الحياة في بلادهم و أن بوسعهم تسلق الأسوار العالية و الطيران في الفضاء الواسع و التحول

[١] صفة لغوية تطلق على من مات بشكل طبيعي (المترجم) .

السحري إلى طيور أو حيوانات إن أرادوا ذلك ، فضلا عن قدراتهم المذهلة في التحول إلى سراب أو وحوش عملاقة ..... و غيرها من الأمور الخارقة للعادة المعروفة لدى الترانسلفانيين و يتوقعون حدوثها من قبل مصاصي الدماء إن أرادوا القيام بها في أي زمان أو مكان ما ، و لذلك فإنهم يحمون أنفسهم بطرق شتى كأن يرتدوا الصليب المسيحي حول أعناقهم و يضعون أكاليل الثوم في بيوتهم و الإكثار من وضع الخبز المقدس في أفواههم من قبل راعي الكنيسة المسيحية عندهم معتقدين بأن الصلاة لله عز و جل ستحميهم منهم و ستبعد شرهم المستطير عنهم إلى الأبد .

ثلاثة أشياء ينبغي فعلها من أجل تدمير مصاصي الدماء ، أولا ، عليك أن تعثر عن المكان الذي تستريح و تنام فيه ، ثم عليك أن تغرس المسامير الخشبية الصلبة على قلوبهن بالمطرقة ، و أخيرا عليك أن تفصل رؤوسهن عن أجسادهن بالفأس .

الناس متيمون بالقصص المرعبة و لا سيما قصة ((دراكولا)) حيث تعتبر من أشهر قصص الرعب العالمية التي طاف ذكرها الآفاق ، لذا حذار من قراءتها بمفردك في وقت متأخر من الليل !

الفصل الأول

الطريق إلى قلعة دراكولا

أدعى جوناثان هاركر و أعمل محاميا في لندن ، منذ سبعة أعوام مضت حدثت بعض الأمور الغريبة و المرعبة لي و العديد من أصدقائي تعرضوا لخطر داهم بسببها ، على الأقل قررنا نحن إخبارهم بهذه القصة و تفاصيلها المرعبة خلال هذه الفترة العصيبة .

جزء من عملي كمحامي ينحصر في العثور على المنازل و المساكن الفاخرة في إنجلترا[٢] للأثرياء الأجانب من بلدان شتى و تسجيل عقود ملكيتهن لهم ، ففي مطلع عام ١٨٧٥م وصلتني رسالة قادمة من دولة تقع في شرق اوروبا تدعى ترانسلفانيا[٣]لواحد من أثريائها الإقطاعيين يدعى الكونت دراكولا طلب مني عبر سطورها شراء منزل له بالقرب من لندن شريطة أن يكون منزلا قديما ذا حديقة واسعة بغض النظر عن سعره رخيص كان أم باهظ الثمن ، فوجدت طلبه و عثرت

[٢] مازال العديد من الأدباء و الكتاب البريطانيين يطلقون إسم إنجلترا على بريطانيا رغم أن الأولى إقليم إداري تابع للثانية إستنادا للغة البلاد الرسمية اللغة الإنجليزية و عاصمتها الإتحادية لندن (المترجم) .

[٣] يبدو أن المؤلف لا يعرف أن ترانسلفانيا ليست دولة مستقلة في شرق اوروبا كما يزعم بل هي إقليم إداري يقع في جمهورية رومانيا (المترجم) .

عليه في شرق لندن و راسلته بخصوصه فوافق على شرائه في الحال .

ما إن جهزت أوراق عقد شرائها القانونية كي يوقع عليها حتى فوجئت بأنه يدعوني لزيارة قلعته في ترانسلفانيا بالحرف الواحد (أحضر الأوراق المطلوبة معك كي أوقعها هناك) .

لم أكن أرغب بالذهاب إلى ترانسلفانيا لكثرة مشاغلي اليومية ، فضلا عن أنها بعيدة للغاية عن هنا و سكانها لا يجيدون الإنجليزية إلا ما ندر ، و ما زاد الطين بلة زواجي المقبل من حبيبتي مينا في الخريف القادم حيث لم أكن أنوي مغادرة إنجلترا قبل إتمام هذا الأمر الهام بالنسبة لي قبل أن تشجعني مينا على السفر !!

(الكونت رجل غني للغاية ، و بوسعك القيام بإجراء المزيد من الأعمال و المشاريع الرابحة معه ، و إختصارا للوقت يمكنك السفر إلى هناك ثم العودة لأرض الوطن مجددا عبر قطار الشرق السريع في ظرف أسبوعين فقط)

لذا قبلت دعوة الكونت دراكولا دونما إعتراض ، فغادرت إنجلترا نهاية شهر إبريل بعدما أعطتني مينا كتابا عن ترانسلفانيا كي أتسلى بقراءته في القطار خلال سفري الطويل إلى هناك

حيث وصلت إلى بلدة صغيرة فيها تدعى بيستريتس في صباح الرابع من شهر مايو الجميل بنور شمسه المشرق المتلألئ على جبال كارباتيا[4] العملاقة المكللة بالثلوج البيضاء و لا سيما أعلى قمة فيه ألا و هي قلعة زبونه الجديد الكونت دراكولا بحد ذاتها ! و ركبت من هناك إحدى العربات المتجهة نحو ممر بورجو في تمام الثالثة عصرا حيث أخبرني الكونت بأنه سيرسل عربة خاصة من حانتها الوحيدة لتنقلني إليه في التو و اللحظة .

مرت ست ساعات و أنا أنتظر العربة دون أن تأتي ، فقررت أن أتناول وجبة الإفطار في الحانة التي لا يجيد من فيها اللغة الإنجليزية بتاتا رغم أن صاحبها حدثني ببعض الكلمات و العبارات الالمانية و رحب بي أيما ترحيب بعد تناولي لاحقا وجبة لذيذة من صنع يديه .

كانت الحانة مكتظة بالزبائن من كلا الجنسين بثيابهم المزركشة الملونة البراقة يتحدثون بلغات عدة لم أتمكن من إستيعابها ، فشربت المزيد من الخمر و إستدعيت صاحب الحانة (ما الذي تعرفه عن الكونت دراكولا ؟ هل رأيت قلعته من قبل ؟)

[4] سلسلة جبلية في رومانيا (المترجم) .

آثر صاحب الحانة الصمت و إبتعد عني سريعا دون أن يرد على أسئلتي المحرجة بالنسبة له ، ليس هذا فحسب ، فقد توقف جميع من في الحانة عن الكلام ينظرون إلي بخوف و إندهاش قبل أن يستأنفوا الكلام في نفس الوقت حيث سمعت إسم دراكولا و عبارة أخرى تتردد على ألسنتهم مرارا و تكرارا و هي كلمة مصاص دماء (أين قرأت هذه الكلمة من قبل ؟) ، فتصفحت قاموسي الجيب الذي أهدتني مينا إياه باحثا عنها لأكتشف لاحقا العديد من القصص القديمة عن مصاصي الدماء المتوارثة لدى سكان ترانسلفانيا في منطقتهم الغامضة جيلا بعد جيل من بينها أنهم من كلا الجنسين و لا يموتون أبدا و لديهم أنيابا طويلة و حادة يعضون من خلالها أعناق الأحياء من البشر و يمتصون دماءهم دون رحمة أو شفقة ، لذا فمازال السكان يخافون منهم حتى هذه اللحظة لدرجة أن معظمهم يرتدون الصليب حول أعناقهم لحماية أنفسهم و إشعارهم بالأمان التام .....لم أكمل قراءة القاموس و أغلقته بسرعة ، هل مازال هؤلاء الناس يؤمنون بهذه القصص الخرافية ؟

ما إن حان وقت الرحيل من هذه القرية حتى دفعت ثمن وجبة إفطاري في الحانة خارجا منها و متوجها نحو العربة التي

ستقلني إلى هناك لأجد حشدا من الناس يتجمهر حولها و من بينهم صاحب الحانة الذي ركض نحوي فجأة ليتحدث إلي و أن بداخلها من نافذتها (هل ينبغي عليك الذهاب إلى قلعة دراكولا ؟ لا تذهب إلى هذا المكان المخيف)

(لدي بعض الأعمال المهمة مع صاحبها الكونت دراكولا)

(إذن خذ هذه الصليب الذهبي و ضعه في رقبتك ، و ليكن الله في عونك رفيقا)

ما إن بدأت العربة بالتحرك حتى تسللت الأفكار الغريبة إلى عقلي الحائر ، من يكون هذا الرجل الذي سأقابله بعد قليل؟ أهو الكونت دراكولا ذو القدرات الغريبة ؟ لا أكاد أصدق ذلك .

إنطلقت سائق العربة بسرعة فائقة تسابق الريح و الشمس الساطعة بنورها المتضائل على أشجار الغابات الجبلية و مياه الأنهار الوعرة المحيطة بالجبال المكللة بالثلوج البيضاء ، يا لها من رائعة ترانسلفانيا و يا لجمال ريفها الآسر للقلوب !

ما إن بدأنا نقترب من هذه الجبال و نصعد إليها شيئا فشيئا حتى توارت الشمس على إستحياء تحت جنح الظلام الدامس و ظلاله القاتمة التي حولت سماءنا الزرقاء إلى قبة حالكة

السواد مرصعة بالنجوم المضيئة و القمر المنير دون أن يعيق مسيرة عربتنا المجنونة في المضي الماراثوني قدما نحو القلعة تحت وقع عواء الذئاب الجبلية المرعب .

إستطعت من خلال ضوء القمر و صعود العربة المتسارع إلى أعلى قبل توقفها عند ممر بورغو رؤية الملامح المظلمة للطريق و لا سيما الدرب الضيق على اليمين ، و هناك رأينا عربة صغيرة تجرها أربعة خيول سوداء قادمة إلينا من بعيد حيث صرخ سائقها بعد توقفه بأعلى صوته على سائقنا (أتيت من قلعة دراكولا ، أين الرجل الإنجليزي ؟)

(هنا)

قفز السائق الآخر من العربة و أنزل حقيبتي و ساعدني على الصعود إليه متكئا على ذراعه ، و ما إن جلست بجانبه حتى ألهب الخيول السوداء بسوطه اللاذع فهاجت بصهيلها المخترق عنان السماء إيذانا بساعة الإنطلاق حيث إنطلقن مسرعات نحو الطريق الضيق إلى أعلى دون توقف تحت إمرة سائقهن الغريب الأطوار بعباءته الداكنة و وجهه المتواري خلف قبعته المستديرة .

ظلت العربة تسابق الزمن بسرعة البرق وسط الجبال المسيجة بالأسوار الطويلة المحيطة لنا من كلا الجانبين لدرجة أنني إضطررت لحملها مع سائقها بكلتا يدي بعدما غطت الغيوم السوداء وجه القمر و إختفى نوره الساطع في معمعة ردائها الهلامي و لم نعد قادرين على رؤية أي شئ يصادفنا في الطريق في الظلام الدامس ، و ما زاد الطين بلة إرعاب الذئاب الجبلية لنا بعوائها المخيف طوال الليل و ضحك السائق الهستيري منها و سرعة خيوله الهائجة التي لا تطاق ما جعلني أغلق عيناي الخائفتين من النهاية البائسة التي تنتظرني في هذا المكان الموحش و بت لا محالة على مشارف الموت المحتم قبل أن أتنفس الصعداء فجاة بعد وصول رحلتنا المجنونة إلى نهايتها حيث إنزلني سائقها من عربته المهترئة راميا بحقيبتي المجاورة لي عنوة على الارض ليختفيا عن أنظاري في غمضة عين قبل أن يرتد طرفي إليهما بعدما أوصلاني إلى حد باب قلعة دراكولا بالتمام و الكمال .

الفصل الثاني

سجن في القلعة

تأملت أسوار القلعة العالية و نوافذها المعتمة التي لا يتسلل الضوء إليها أبدا و بابها الخشبي العملاق أمامي ، و أثناء وقوفي هناك سمعت صوت الباب عند فتحه ببطء حيث خرج منه رجل طويل القامة أشيب الشعر و وجهه أبيض مرتديا ثيابا سوداء واقفا أمامي حاملا بيده اليمني مصباحا منيرا للغاية (أهلا بك في منزلي ، تفضل بالدخول يا سيد هاركر)

قادني الكونت دراكولا إلى الداخل بمنظره المرعب و وجهه المخيف و يديه الباردتين بعدما أوصد الباب من خلفنا و وضع المفاتيح في جيبه .

سرت خلفه عبر الممرات السفلية الطويلة و صعدت معه السلالم الملتوية و كأنني أحلم ، و في نهاية المطاف فتح أحد الأبواب و أخذني إلى غرفة بلا نوافذ حيث تمكنت من رؤية غرفتين صغيرتي الحجم بداخله ، إحداهما غرفة النوم و الأخرى غرفة الطعام ، فهم الكونت بمغادرة (لا تنتظرني على العشاء فلقد سبقتك ، عندما تكون على أتم الإستعداد سأكون بانتظارك)

لـم أتحمـل الجـوع الشـديد الـذي أصـابني ، فسـرعان مـا جلسـت علـى مائـدة الطعـام بعـد بضـع دقـائق لتناولـه بـنهم شـديد ، بعـد ذلـك جلسـنا معـا أمـام المـدفأة حيـث كـان يحـدثني و يطـرح علـي العديـد مـن الأسـئلة بلغتـه الإنجليزيـة التـي يجيـدها كاهلهـا ، لكـن التعـب و الإرهـاق جـراء رحلتـي المضـنية أصـابني بـالمرض الشـديد ، كانـت قلعتـه غارقـة فـي الصـمت الرهيـب دون أن تمنـع الـذئاب المحيطـة بـه مـن إقـلال راحتـه المهيبـة بعوائهـا المـزعج طـوال الليـل ، فهـدأ الكونـت مـن روعـي و خفـف عنـي بهدوئـه الصـارم (هـل بوسـعك سـماع أطفـال الليـل ؟ إصـغي إلـى موسيقاهم)

بـدا وجهـه أقـرب إلـي مـن حبـل الوريـد بعـدما حولـت نيـران المـدفأة عينـاه البـراقتين إلـى شـعلة ملتهبـة ، كـان هنـاك رائحـة مثيـرة للاشـمئزاز فـي الغرفـة ، و مـا أثـار دهشـتي منهـا أنهـا نابعـة مـن الكونـت بذاتـه ، فإبتسـم لـي إبتسـامة عريضـة إرتسـمت علـى شـفتيه القاسـيتين و أسـنانه الحـادة (أنـت متعـب للغايـة ، حـان الوقت لتنام)

فـي تلـك الليلـة ، حلمـت بكـوابيس مرعبـة و أحـلام غريبـة سـمعت مـن خلالهـا عـواء الـذئاب و ضـحكاتهن الغريبـة ، و عنـدما إسـتيقظت فـي وقـت متـأخر مـن الصـباح وجـدت طعامـا

شـهيا علـى المائـدة فـي الغرفـة الأخـرى عليهـا ملاحظـة مدونـة مـن قبـل الكونـت (أنـا مضـطر للمغـادرة و تركـك بمفـردك اليـوم ، يمكنـك التجـول فـي أرجـاء القلعـة مـا عـدا بعـض الأبـواب المغلقـة لا تحاول فتحها البتة . دراكولا)

لـم أر أحـدا غيـره فـي القلعـة طـوال اليـوم ، لكنـي وجـدت مكتبتـه العـامرة بكـل تالـد و وارد مـن الـوان المعرفـة بمـن فيهـا كتـب عـن إنجلتـرا قضـيت معظـم وقتـي فـي قراءتهـا حتـى عودتـه فـي المسـاء (هـذه الكتـب يـا سـيد هـاركر هـم أعـز أصـدقائي حيـث علمـوني الكثير عن بلادك ، و الآن لنعود لموضوعنا الأساسي)

(أنت تتحدث الإنجليزية بطلاقة)

إبتسـم الكونـت إبتسـامة عريضـة علـى أسـنانه الحـادة الناصـعة البيـاض (عليـك أن تخبرنـي عـن منزلـي الجديـد ، هـل أوراقـه جاهزة كي أوقع عليها ؟)

(المنـزل يبعـد حـوالي ٢٢ كيلـومتر عـن شـرق لنـدن ، و أجزائـه الضخمة في غاية القدم ...)

(رائـع ، أنـا دائمـا احـب العـيش فـي المنـازل القديمـة و أمقـت العيش في المنازل الجديدة ، أكمل)

(و لديه حدائق و بساتين محاطة بأسوار عالية ، و هذه صورة لأقدم جزء فيه إلا و هي الكنيسة)

(إذن سيكون منزلي مجاورا للمقبرة)

وضع دراكولا بهدوء صورة المنزل على راحة يده و تأملت أظافره الطويلة الحادة كما لو كانت مخالب نسر جارح .

ظل الكونت يتبادل أطراف الحديث معي طوال الليل حتى غطت في نوم عميق قبل أن أستيقظ مفزوعا فجأة لحظة إقتراب رائحة أنفاسه المرعبة مني ، ما الذي يبقيني في هذا المكان المخيف ؟ ما إن فتحت عيناي حتى ولت هاربة من وجهه المريب (حسنا يا عزيزي ، لقد تحدثنا بما فيه الكفاية الليل بطوله و أرى الإجهاد و الإعياء قد نالا منك كثيرا ، نم و إسترح في فراشك)

لكني لم أنم جيدا و عقلي مضطرب و غارق في الكوابيس و الأحلام المزعجة اكثر من ذي قبل ، كان الوقت مبكرا عندما إستيقظت من نومي و قررت إرتداء رداء الحلاقة لحلاقة ذقني ، فتفحصت كل ركن من أركان غرفة نومي لأفاجأ بعدم وجود مرآة فيها ! فأخرجت من حقيبتي على الفور مرآة صغيرة للحلاقة كنت قد احضرتها معي من لندن ، ثم علقت على

النافـذة ، و مـا إن بـدأت بحلاقـة ذقنـي حتـى سـمعت صـوتا مرعبـا مـن خلفـي دفعنـي مـن هـول مفاجأتـه إلـى جـرح نفسـي بالشـفرة الحـادة جرحـا غـائرا إنبثقـت منـه الـدماء الغزيـرة ، فإلتفـت خلفـي لأجـد الكونـت دراكـولا واقفـا امـامي دون أن أرى وجهـه بتاتـا على المرأة (صباح الخير يا عزيزي) .

مـا إن رأى الـدماء تسـيل مـن وجهـي حتـى أصـدر صـوتا غريبـا و إقتربـت يـداه مـن عنقـي و إشـتعلت عينـاه غضـبا بـاللون الأحمـر قبـل أن يعـود إلـى طبيعتـه السـليمة كمـا كـان لحظـة رؤيتـه الصـليب معلـق حـول رقبتـي (خـذ حـذرك و أنـت تحلـق ذقنـك فـلا تجـرح نفسـك هـذه الجـروح الغـائرة ، فـأي جـرح مـن هـذا النـوع يصـيبك بشـكل خطـرا علـى حياتـك داخـل قلعتـي ، ثـم إن هـذه المـرآة لا نحتاجها هنا على الإطلاق) .

أثنـاء حديثـه لـي رمـى بمرآتـي الصـغيرة خـارج نافـذة الغرفـة المفتوحـة لتـتحطم أشـلاؤها علـى فنـاء القلعـة الحجـري شـذرا مـذرا و غـادر دون أن يحـرك سـاكنا ، تكـرر الأمـر ذاتـه عنـد تنـاولي الإفطـار حينمـا تفاجـأت برحيلـه الخفـي مـن هنـاك دون أن أشعر بذلك لتنتابني هواجس الخوف و الرعب منه مجددا .

كنـت مرهقـا للغايـة ، و قضـيت النهـار بطولـه فـي التجـوال حـول القلعـة مسـتغلا فرصـة إختفائـه المريـب عنـه حيـث وجـدت أبوابهـا

مغلقة للغاية ما عدا بعضا من نوافذها الكبيرة الشاهقة التي كانت مفتوحة منذ الصباح الباكر رغم صعوبة الصعود إليها لإرتفاعها الشديد عن أرضية فناء القلعة و أسوارها العالية بمئات الأمتار ، كنت وحيدا بين أركان هذه القلعة الكئيبة و سجينا خلف جدران هذا المكان الرهيب و الغريب و قضبانه الخانقة بحيث لم يكن هناك أية وسيلة للفرار منه سوى سجاني الكونت دراكولا بحد ذاته !

الفصل الثالث

مصاصو الدماء

يمر الوقت هناك ببطء السلاحف حيث مازلت أرى الكونت دراكولا في منامي و أمام ناظري طوال الليل ، و في الصباح الباكر أقضي معظم وقتي داخل مكتبته النفيسة في مطالعة الكتب ، و أحيانا اتجول في ممرات القلعة و بين أركان فنائها الحجري .

كدت أهم للمغادرة بعد توقيعنا الأوراق المطلوبة ، لكن الكونت كان له رأي آخر ، فلم يدعني أرحل من هنا و ظل يسألني العديد من الأسئلة حول إنجلترا كل مساء حيث كنت أرد عليه بإبتسامة عريضة فحسب لا تشفي غليله .

كنت أرتعش من الخوف من قوة الكونت الغريبة التي تزداد خطورة كل يوم دون أن أحسم موقفي من فراري من قصره المخيف أم لا ؟

ذات يوم ، وجدت غرفة مفتوحة دون إقفال ، و بمجرد إقترابي منها حتى شعرت بالإرهاق الشديد و تمددت على الأريكة المقابلة لنافذتها الشبكية ، و عندما فتحت عيناي حتى فوجئت بها غارقة في الظلام الدامس إلا من كم هائل من

النجـــوم الذهبيـــة المتطـــايرة فـــي الهـــواء الطلـــق قبـــل أن يتحـــولن بـــبطء إلـــى ثـــلاث نســـاء جمـــيلات ، بدايـــة شـــعرت بـــالخوف مـــنهن مـــا لبثـــت أردت مـــنهن لمســـي و تقبيلـــي بشـــفاههن الحمـــراء الناعمـــة ، و تحـــت وطـــأتهن شـــعر جســـدي بالثقـــل الشـــديد مـــا جعلـــه غيـــر قـــادر علـــى الحركـــة (إســـتمر ، فأنـــت أول شـــخص يـــأتي إلينـــا علـــى الـــرغم مـــن كونـــك شـــابا قويـــا مفتـــول العضـــلات ، جمعنـــا سيقبلنك الآن) .

إقتربـــت إحـــداهن منـــي تبتســـم لـــي بأســـنانها الحـــادة البيضـــاء و إتكـــأت علـــي بينمـــا أنـــا أغلقـــت عينـــاي أمامهـــا و شـــعرت بشـــعرها الطويـــل يلـــف وجههـــي ، فأصـــدرت صـــوتا غريبـــا و لعقتنـــي بشـــفتيها الحمـــراوين و بـــدأت أســـنانها الحـــادة تغـــرز أنيابهـــا علـــى عنقـــي ، الآن ستقبلني ، ستقبلني ، هذا ما كنت أعتقده !

و فجـــأة ، دوى صـــراخ مباغـــت يعلـــن قـــدوم الكونـــت دراكـــولا إلـــى هـــذه الغرفـــة و جـــر النســـاء الثلاثـــة مـــن شـــعورهن بعيـــدا عنـــي (إبتعـــدي عليـــك اللعنـــة ، كيـــف تجـــرؤين علـــى لمســـه بحـــق الجحـــيم ؟ إنه ضيفي !)

(ها ها ها ، يا لك من متوحش !! ألم تقع في الحب أبدا ؟!!)

(أنت تعلمين السبب الذي جئت من أجله إليك هنا ، تريثي قليلا و سوف تنالين فرصتك الكاملة)

لابد و أني أحلم ! فعندما إستيقظت من نومي لم أجد أحدا في هذه الغرفة سواي حيث كان تشع بالضوء المبهج و تسطح عليها أشعة الشمس المشرقة و تمكنت من خلالها رؤية الصليب الذهبي الموضوع على عنقي في الطاولة كما وضعته من قبل !!

مر التاسع عشر من مايو و مازلت مقيما في غرفتي طوال اليوم ، فعندما رأيت الكونت في المساء كان من الصعب أن تختفي مخاوفي حياله قبل ان تزول مؤقتا جراء ابتسامته المعتادة لي (عزيزي هاركر ، أنا سعيد لكونك ضيفي الكريم ، و أعلم أيضا إشيتاقك الحار لمينا و رؤيتها مجددا)

وضع بعض الورق و ثلاثة ظروف بريدية على الطاولة (خدمات البريد في ترانسلفانيا ليست جيدة للغاية ، لكن هذا لا يمنعك من كتابة ما تريد إخباره لها في رسائلك)

أخبرني بانه سيضع التواريخ لهذه الرسائل ما إن أنتهي من كتابتهن ، آخر هذه الرسائل مسجلة بتاريخ التاسع عشر من مايو ..... ماذا عساي أن أفعل ؟! فالخوف الرهيب منه

مـــازال يتملكنـــي حيـــث كتبـــت أســـفل كلماتـــه المدونـــة فيهـــا ، و فـــي الرســـالة الأخيـــرة أخبـــرت مينـــا بـــأني غـــادرت القلعـــة و عائـــد إلـــى وطنـــي عمـــا قريـــب ، عرفـــت لاحقـــا أن الكونـــت ينـــوي قتلـــي لكـــن لـــيس الآن ، فمـــازال أمـــامي ســـتة أســـابيع حتـــى التاســـع عشـــر مـــن مايو ، ستة أسابيع فما فوق للرحيل من هنا !

مـــرت الأيـــام و مازلـــت حبـــيس قلعـــة دراكـــولا ..... تـــرى مـــن يكون ؟ هل يعلم حقا حقيقة أمري ؟

و مـــا إن حـــل يـــوم التاســـع عشـــر مـــن مـــايو حتـــى تحـــدث دراكـــولا إلـــي فـــي تلـــك الليلـــة (صـــديقي العزيـــز ، علينـــا الرحيـــل مـــن هنـــا غـــدا إلى إنجلترا ، علنا نلتقي مرة أخرى)

مـــاذا يعنـــي هـــذا ؟ أنـــا مضـــطر للتنقيـــب عـــن حقيقـــة الأمـــر ، لـــذا قـــررت أن أتبـــع دراكـــولا إلـــى غرفتـــه حتـــى بعـــدما دخـــل إليهـــا و أوصـــد البـــاب عليـــه فلقـــد صـــوت نافذتـــه تفـــتح و تمكنـــت مـــن رؤيتهـــا عبـــر نافـــذة إحـــدى غـــرف الممـــر الواصـــل بينهمـــا ، و شـــاهدت الكونـــت دراكـــولا يخـــرج مـــن النافـــذة مرتـــديا عباءتـــه الســـوداء ملحقـــا بجناحيـــه العريضـــتين صـــوب ســـور القلعـــة كمـــا لـــو كـــان طـــائرا عملاقـــا تحـــت ضـــوء القمـــر الســـاطع قبيـــل إختفائـــه المريب بلحظات !

كان علي أن أفكر بخطة محكمة للهروب ، عدت إلى غرفتي و قرأت مجددا كتابي المتربط بترانسلفانيا و عن مصاصي الدماء فيها الذين يصطادون و يقتلون ضحاياهم ليلا بعدما أصبحوا أحيانا مجرد حيوانات جارحة سرعان ما يعودون إلى طبيعتهم البشرية و يفقدون قواهم الغربية في الصباح الباكر .

لم أر الكونت دراكولا خلال هذا الصباح أبدا ، فلو ذهبت إلى غرفته في هذا الوقت فلن يتمكن من إيذائي و ربما أتمكن من أخذ مفاتيحه من جيبه و الوذ بالفرار من هنا إلى غير رجعة .

إنتظرت أمام نافذة الممر عودته طوال الليل حتى طلوع الفجر ، و عندما بدأ ضوء الشمس يشع بريقها الساطع في كبد السماء خرجت من النافذة ، تحركت بحذر أسفل الحائط عبر النافذة المفتوحة ، لم يكن هناك شئ في الغرفة بإستثناء كومة كبيرة من العملات الذهبية ، كان احد ابوابها مقفلا لكن الثانية فتحت و ذهبت من خلالها و نزلت عبر سلمها الحجري الذي قادني إلى ممر طويل ثم كنيسة قديمة مرصوفة أرضيتها بالحجارة و مليئة بالصناديق الخشبية العريضة (خمسون صندوق بلا أغطيتها المثبتة عليها حيث مازلن مبعثرات في أرجاء المكان ما عدا غطاء واحد موضوع في

صـــندوقه المناســـب الـــذي مـــا إن فتحتـــه حتـــى فوجئـــت بوجـــود الكونـــت دراكـــولا بداخلـــه حيـــث كـــان أشـــيب الشـــعر و أبـــيض الوجـــه إلـــى حـــد الإحمـــرار و البدانـــة و الـــدم الطـــازج ينســـاب مـــن شـــفتيه الحمـــراوين يصـــدر منهمـــا رائحـــة مرعبـــة للـــدم تثيـــر الإشـــمئزاز بعـــد تنـــاولهم وجبـــتهم الدســـمة مـــن ضـــحاياهم مـــن البشـــر !! و عينـــاه مفتوحتـــان دون أن يحركهمـــا أو يحـــرك أســـنانه البيضـــاء الطويلة الحادة أمامي !!!

فـــي تلـــك اللحظـــة ســـمعت صـــراخا و عـــويلا مصـــحوبا بوقـــع اقـــدام متعاقبـــة نحـــوي ، فعـــدت أدراجـــي عبـــر الممـــر و أغلقـــت بـــاب غرفتي خلفي و وقفت هناك أستمع إليهم بإنتباه .

خرجـــت مـــن النافـــذة ، تحركـــت بعنايـــة أســـفل الحـــائط وعبـــر نافـــذة الكونـــت المفتوحـــة ، لـــم يكـــن هنـــاك شـــيء فـــي الغرفـــة بإســـتثناء كومة كبيرة من العملات الذهبية .

كـــان أحـــد الأبـــواب مقفـــلاً ، لكـــن الثانيـــة فتحـــت وذهبـــت مـــن خلالهـــا و نزلـــت عبـــر ســـلمها الحجـــري إلـــى ممـــر طويـــل أوصـــلني إلـــى كنيســـة قديمـــة مبنيـــة بالحجـــارة حيـــث كانـــت أرضـــيتها مليئـــة بـــالنعوش الخشـــبية – خمســـون منهـــا غيـــر مـــرمم و ملـــيء بالأتربـــة و الغبـــار عـــدا نعـــش واحـــد مغطـــى ورفعـــت منـــه الغطـــاء و كومـــة الأتربـــة لأتفاجأ بوجود الكونت دراكولا ممدد بداخله !

أضحى شعره الأبيض رماديا قاتما و وجهه الأبيض النحيل سمينا و شديد الإحمرار و الدماء الطازجة تقطر من شفتيه و تفوح منهما رائحة فظيعة ، رائحة الدم ! (كما هي عادة مصاص الدماء عندما يستريح بعد وجبته الدسمة) و عيناه مفتوحتان دون حراك ، فضلا عن تمكني من رؤية أسنانه البيضاء .

في تلك اللحظة ، سمعت صرخات و وقع أقدام عديدة ، فركضت عائدا عبر الباب إلى الممر و أغلقته خلفي واقفا بقربه يسترق السمع حيث إمتلأت الكنيسة بالرجال الذين يقومون بإغلاق النعوش الخشبية بالمطارق و المسامير و يجرونها إلى خارج المكان بعدما أوصدوا أبوابه ، كان دراكولا على متن إحدى النعوش المتجهة صوب إنكلترا و أنا حبيس جدران هذه القلعة ! فركضت عبر الممر و صعدت من خلال السلالم الحجرية و عدت إلى غرفة الكونت ، ثم وضعت بعض العملات الذهبية في جيوبي ، بعد ذلك ركضت نحو النافذة المفتوحة التي تبعد أميالا عن الأرض داعيا الله أن يتولاني برحمته ، فتسلقت أسفل النافذة و تحركت ببطء أسفل السور .....

الفصل الرابع

زيارة لهيث

في إنجلترا ، إنتظرت عودة زوجها جوناثان هاركر بفارغ الصبر ، فرسائله المبعوثة إليها من قلعة دراكولا بدت غريبة و قصيرة للغاية مما تقلق عليه كثيرا (هل هو مريض ؟ لما لم يعد إلى إنجلترا إذن ؟)

في تلك الأثناء و خلال منتصف شهر يوليو ، تلقت دعوة مبعوثة من صديقتها لوسي ويست للمكوث معها في بلدة هيث الصغيرة المطلة على البحر حيث تقطن فيها مع زوجها الطبيب أرثر (أرثر في أمستردام لزيارة أستاذه الطبيب فان هيلسنغ ، تعالي و أمكثي معي حتى عودة زوجك جوناثان ، لا تبعد هيث عن لندن كثيرا ، هواء البحر سينعشك تماما) .

في اليوم التالي ، سافرت مينا عبر القطار جنوبا إلى هيث حيث كان جوها منعش للغاية ما دفع السيدتان الشابتان للتجوال في شوارعها كل يوم و بالقرب من شاطئها الساحر في بعض الأحيان ، لكن أكثر مكان تحبه لوسي و تعشق التجوال فيه هو الكنيسة القديمة الواقعة أعلى التل .

نامت مينا و لوسي في نفس الغرفة ، و ذات ليلة و قبيل نهاية شهر يوليو ، إستيقظت مينا فجأة على وقع خطوات لوسي خارجة من غرفة النوم تمشي أثناء نومه و لكن بسرعة قبل أن تعيدها إلى السرير مجددا ، في الصباح الباكر لم تتذكر لوسي ما صنعته البارحة على الإطلاق .

في الثامن من أغسطس تبدل الطقس ، و غمرت السماء الصافية الغيوم السوداء و هواؤها المنعش بات ثقيلا للغاية على صدر شاطئ المدينة منذرا فيما بعد بحدوث عاصفة عاتية بعد منتصف الليل ، إستمعت لوسي بصوت الرعد و ضوء البرق و هي تتأمل البحر العاصف جالسة بالقرب من شرفة النافذة طوال الليل .

ذات صباح ، أضحى كل شئ هادئ و ساكن عدا الضباب القاتم فوق البحر ، تحدثت خادمة لوسي لإثنتين من ضديقاتها عن السفينة التي تحطمت قبالة الشاطئ ، سألتها لوسي بإهتمام شديد (هل كانت سفينة إنجليزية ؟ هل بحارتها المساكين بخير ؟)

(لقد كانت سفينة روسية قادمة من مكان بعيد يدعى فارنا[٥] ، الغريب في أمرها أنه لم يكن هناك أحد على متنها حيا كان أم

[٥] مدينة بلغارية مطلة على البحر الأسود و تعتبر الميناء الرئيسي لبلغاريا (المترجم) .

ميتـــا ..... و لكـــن بمجـــرد رســـوها علـــى الشـــاطئ حتـــى قفـــز منهـــا كلـــب ضـــخم و ركـــض بســـرعة نحـــو التلـــة ، و الأغـــرب مـــن ذلـــك أيضـــا إمـــتلأ الســـفينة بالصـــناديق الخشـــبية قبـــل أن يـــأتي بعـــض الرجـــال القـــادمين مـــن لنـــدن لنقلهـــا جميعـــا مـــن هنـــاك ، و أثنـــاء نقلهـــم لهـــن إنكســـرت أحـــداهن ، و مـــا إن فتحوهـــا حتـــى فوجئـــوا بأنهـــا مثـــل غيرهـــا مـــن الصـــناديق مملـــؤة بـــالتراب ! مـــن أيـــن أتـــوا بهذا الكم الهائل من التراب ؟! لا أحد يعرف)

إمتقـــع لـــون وجـــه لوســـي دون أن تفقـــد بريـــق عينيهـــا اللامعـــين مـــن شـــدة الدهشـــة ثـــم ذهبـــت مـــع صـــديقتها مينـــا إلـــى الكنيســـة فـــي أعلـــى قمتهـــا لعثـــور علـــى هـــذا الكلـــب الضـــخم ليجـــدوا ســـاحتها خالية الوفاض من البشر و الحيوانات .

فـــي تلـــك الليلـــة ، إســـتيقظت مينـــا مـــن نومهـــا علـــى وقـــع ضـــجة عاليـــة حيـــث لـــم تجـــد لوســـى علـــى ســـريرها و بـــاب غرفـــة النـــوم مفتـــوح حيـــث فوجئـــت بأنهـــا ليســـت فـــي المنـــزل ، فإرتـــدت ثيابهـــا و إنتعلـــت حـــذائها حاملـــة معهـــا حـــذائي لوســـي و معطـــف نومهـــا ثـــم ركضـــت مســـرعة نحـــو الشـــارع المطبـــق فـــي صـــمت عميـــق بحثـــا عنهـــا دون أن تجـــد لهـــا أي أثـــر (أيـــن ذهبـــت لوســـي يـــا تـــرى ؟ هـــل هي في الكنيسة أم لا ؟)

ركضت مينا مسرعة نحو الكنيسة للحظة عند بوابة ساحتها (نعم ، ها هي هناك ! و لكن ما ذلك الشئ الذي يتحرك خلفها ؟)

ظنت مينا أنها رأت وجها أبيض ذا عينين حمراوين ، لكن ما إن وصلت إلى صديقتها لوسي حتى وجدتها بمفردها ، لقد كانت نصف نائمة و وضعت مينا معطف نومها عليها و أعادتها إلى المنزل ، ما إن وضعتها على السرير حتى شاهدت علامتين حمراوين على عنقها ، إندهشت مما رأته سائلة نفسها عما سبب لها هذه العلامات ، إلا أنها أثرت الصمت و لم تخبر لوسى بما حدث .

منذ ذلك الحين و باتت لوسي شاحبة اللون أكثر من ذي قبل و صار وجهها الجميل نحيلا و ممتقع اللون ، أدركت مينا بأنها صديقتها لوسي مريضة جدا ، فأرادت إرسال برقية إلى زوجها أرثر ، لكن لوسي منعتها من ذلك (أرثر يؤدي بعض الأعمال المهمة في مستشفى البروفيسور فان هلسنغ ، لا أريد إزعاجه)

و مع ذلك تكررت مغادرة لوسي لسريرها و هي نصف نائمة كل ليلة ، ما إضطرت مينا إلى حراسة باب غرفة نوم صديقتها لحمايتها من الخطر ، و ذات ليلة رأت لوسي تستند على

نافـــذة الغرفـــة و بجوارهـــا طـــائر ضـــخم أســـود اللـــون ، و مـــا إن إقتربت منه حتى طار بعيدا ببطء

حتـــى نامـــت بســـرعة دون أن تبعـــد يـــدها مـــن العلامـــاتين الحمـــراوين المغروزتين في بلعومها .

بعـــد ذلـــك ، إســـتلمت مينـــا فـــي التاســـع عشـــر مـــن أغســـطس رســـالة قادمـــة مـــن مستشـــفى بودابســـت (أبشـــري يـــا لوســـي ، جوناثـــان بخيـــر و الحمـــدالله ..... يقـــول فـــي رســـالته بأنـــه مـــريض للغايـــة و يطلـــب لقـــائي علـــى الفـــور ، لكننـــي لا أريـــد تركـــك بمفـــردك هنـــا و أنـــت لســـت علـــى مـــا يـــرام ، و مـــع ذلـــك أنـــا مضـــطرة للـــذهاب إلـــى بودابست)

(بالطبع يا عزيزتي مينا ، عليك الذهاب إلى بودابست)

ســـافرت مينـــا بالقطـــار إلـــى بودابســـت حيـــث وصـــلت هنـــاك بعـــد رحلـــة طويلـــة و شـــاقة للغايـــة ، ثـــم إصـــطحبت جوناثـــان بـــين ذراعيهـــا لتفاجـــأ بمنظـــره الهزيـــل و الشـــاحب (لمـــا لـــم تخبرنـــي بأنـــك مـــريض إلى هذا الحد ؟ ماذا جرى لك في قلعة دراكولا ؟)

(إخفضـــي صـــوتك يـــا مينـــا ، لا يمكننـــي محاطبتـــك حـــول هـــذا الموضـــوع الآن ..... (هامســـا) أشـــياء رهيبـــة حـــدثت هنـــاك ، هـــل

مريضـــا أم مجنونـــا ؟! لا أعـــرف ، كـــل مـــا أعرفـــه أنـــي لا يمكننـــي إخبارك عن هذا الموضوع الآن بل لاحقا)

(جوناثـــان ، إنســـى مـــا حـــدث لـــك ، عليـــك أن تتعـــافى ممـــا أنـــت فيه أولا حتى نبدأ لاحقا حياة جديدة معا)

(أنـــت علـــى حـــق (هامســـا) و لكننـــا ســـنتزوج فـــي الحـــال و لـــن أتخلى عنك أبدا مرة أخرى)

تـــزوج جوناثـــان مـــن مينـــا فـــي الأول مـــن ســـبتمبر ببودابســـت حيـــث مكثـــوا فيهـــا حتـــى الثـــامن عشـــر منـــه قبـــل رحيلهمـــا إلـــى أرض الـــوطن ، و مـــا إن عـــادا إلـــى لنـــدن بطقســـها الـــدافئ آنـــذاك حتـــى قامـــا بجولـــة مكوكيـــة فـــي أرجـــاء المدينـــة و شـــوارعها المكتظـــة بأناســـها السعداء .

و فجـــأة أطلـــق جوناثـــان صـــرخة مدويـــة مـــن شـــدة الرعـــب (يـــا إلهـــي ! أنظري !! إنه الكونت دراكولا !!!)

أشـــار جوناثـــان بيـــده إلـــى الرجـــل الطويـــل المترجـــل لتـــوه مـــن العربـــة بوجهـــه الأبـــيض القاســـي يتجـــاذب أطـــراف الحـــديث مـــع إمـــرأة شـــابة فائقـــة الجمـــال مبتســـما لهـــا ، رأت مينـــا شـــفتيه الحمـــراوين و أنيابـــه الحـــادة الناصـــعة البيـــاض (الكونـــت دراكـــولا هنـــا فـــي لنـــدن ؟!

لســـت مجنونـــا يـــا مينـــا ، هـــذه الأمـــور كانـــت تحـــدث فـــي قلعـــة دراكولا .....)

(أرجـــوك يـــا جوناثـــان ، لا تعـــد إلـــى حالتـــك المرضـــية مجـــددا ، هـــذا الرجـــل لديـــه منـــزل فـــي لنـــدن يقطـــن فيـــه ، لمـــا لا تريـــده أن يكـــون هنا ؟)

(هـــذا هـــو الخطـــر الـــداهم بعينـــه يـــا عزيزتـــي ، ســـأخبرك بكـــل شـــئ عنه ريثما نعود إلى المنزل)

و عنـــدما عـــادا مســـرعين إلـــى المنـــزل عـــن طريـــق العربـــة فتحـــت الخادمـــة البـــاب لهمـــا و أعطـــت لمينـــا برقيـــة وصـــلت إليهـــا تـــوا مـــن زوج صـــديقتها لوســـي الطبيـــب آرثـــر ويســـت ، و مـــا إن بـــدأت بقـــراءة ســـطورها القصـــيرة حتـــى ذرفـــت عيناهـــا الحـــزينتين الـــدموع الغزيرة (زوجتي العزيزة قضت نحبها و دفنت البارحة

آرثر)

(لوســـي ماتـــت ؟! أنـــا لا أصـــدق هـــذا يـــا مينـــا ؟!!! كيـــف حـــدث ذلك ؟!!!!)

(ينبغـــي علـــى آرثـــر المجيئـــي إلـــى هنـــا و البقـــاء معنـــا يـــا جوناثـــان ، سأرسل له برقية في الحال)

فـي تلـك الليلـة أخبـر جوناثـان مينـا كـل شـئ عـن قلعـة دراكـولا و لا سـيما الأمـور الرهيبـة التـي تحـدث هنـاك ، و الكونـت دراكـولا موجـود حاليـا فـي عقـر دارهمـا بـإنجلترا ، فمـا الـذي يسـعى إليـه و يخطط له الآن ؟

الفصل الخامس

كيف ماتت لوسي ؟

عندما وصل الطبيب آرثر ويست إلى منزل آل هاركر كانت ثيابه سوداء و وجهه حزين شاحب اللون ، و مع هذا تبادل الحديث مع جوناثان و زوجته في أمور عدة أثناء تناولهم العشاء ، بعد ذلك تحدثت مينا معه بهدوء (عزيزي أرثر ، لقد كانت وفاة لوسي صدمة شديدة الوطأة علينا ، هلا عن أخبرتنا عن كيفية وفاتها بهذا الشكل ؟)

(عدت من أمستردام خلال أسبوع من مغادرتكم هيث ..... و في نفس الوقت ، كانت لوسي مريضة للغاية ، وجهها شاحب اللون و جسدها هزيل أكثر من ذي قبل ، فقمت بفحصها دون أن أتمكن من إيجاد أي مرض ألم بها)

(هل كانت لوسي حتى وفاتها لاتزال تغادر سريرها و تمشي أثناء نومها ؟)

(بلى ، و بدأت تحلم أحلاما غريبة بأنها رأت عينان حمراوان و غبارا ذهبيا يتطاير في الهواء .....)

(قلت غبار ذهبي ؟! هل الكونت دراكولا فعلها هنا من قبل ؟ .... إستمر يا أرثر ، سأروي قصتي لك فيما بعد)

(أحلامها تلك آثارت مخاوفي يا جوناثان ، فأرسلت برقية إلى أستاذي في أمستردام البروفيسور فان هيلسنغ ، و لقد حضر إلى هيث في الحال ، و ما إن وصل إلينا حتى زادت حالة لوسي المرضية سوءا عن ذي قبل إلى حد لم تعد فيه قادرة على النهوض من السرير و باتت طريحة الفراش ، فقام بفحصها و رعايتها رعاية تامة ، ثم أخبرني بأن زوجتي لوسي نزفت كثيرا و بحاجة لنقل دم في الحال للحفاظ على حياتها من الزوال ، فتبرعت بدمي لها)

(يا للهول ! هل كان هناك أية علامات صغيرة حمراء اللون حول عنقها ؟)

(نعم ! و لكن كيف عرفت ؟! هذه العلامات أثارت قلق البروفيسور كثيرا)

(هل أنقذ الدم الذي تبرعت به حياتها ؟)

(بالطبع يا مينا ، و تحسنت حالتها تماما و بدت على ما يرام في الليل ، و في الصباح أستعادت صحتها و هي في غاية السعادة ، فزارها البروفيسور هيلسنغ و أحضر معه الكثير من الثوم)

(إذن ، فلقد عرف البروفيسور السبب ؟)

(عرف ماذا يا جوناثان ؟! الثوم لديه رائحة قوية جدا ، لكن البروفيسور وضع معظمه في أرجاء غرفة النوم ، ثم كون من زهورها البيضاء قلادة وضعها حول عنق لوسي)

(لماذا لم يحمي الثوم لوسي من الكونت ؟! أكاد لا أفهم !!)

أكمل أرثر لصديقيه بقية القصة ، بأن البروفيسور هيلسنغ مكث في هيث لأيام معدودات لأن لوسي بدأت تستعيد عافيتها ببطء ، و ذات ليلة ذهب أرثر لزيارة طفل مريض بينما أستاذه البروفيسور ذهب إلى المكتبة للمطالعة و لوسي نائمة في غرفتها و زهور الثوم حول عنقها حيث بدت في غاية الجمال و نافذة الغرفة مغلقة بإحكام (كنت بعيدا عنها لساعات طوال بحكم عملي كطبيب ، و ما إن حل الصباح و عدت إلى المنزل حتى فوجئت بصمت مطبق يسود أرجاءه ، البروفيسور هيلسنغ نائم على الكرسي ، ناديته بإسمه فلم يستيقظ ، و فجأة شعرت حينها بالخوف الشديد ، فركضت عبر السلالم نحو غرفة النوم حيث كانت نافذتها مكسورة و لوسي ممددة على السرير بعينين مغمضتين بعدما أبعدت قلادة الثوم من عنقها)

توقف أرثر عن الكلام لبرهة بعدما إنهمرت الدموع الغزيرة على مقلتيه ، ثم إستأنف حديثه (ركضت نحو البروفيسور هيلسنغ

و ناديت بإسمه عدة مرات قبل أن أتمكن من إيقاظه . ثم هرع معي نحو غرفة لوسي ، و عندما شاهدها ممددة على الفراش أخبرني بأنها قد فارقت الحياة بعدما إختفت العلامات الحمراء حول عنقها ، كما أخبرني أيضا بأنه ينبغي علينا إيقاظها في الحال حتى لا تموت أثناء نومها .

في تلك الأثناء ، فتحت لوسي عينيها و تأملتني و هي تبتسم ملء فمها ، ثم كلمتني بصوت بطئ و غريب للغاية عن رجل قدم إلى نافذة غرفتنا و ظل يناديها مرارا و تكرارا ، ففتحت النافذة له و طلبت منه المجئ إليها ، أمسكت بأصابعها الباردتين كالثلج يدي طالبة مني تقبيلها ، و ما إن سعيت لتلبية طلبها حتى جرني البروفيسور فان هيلسنغ إلى الخلف بعيدا عنها ، فإمتقع لونها من شدة الغضب و بدت عيناها قاسيتين و وجهها قبيح المنظر .....)

غطى أرثر وجهه بكلتا يديه (لقد كان منظرا مريعا للغاية ، لأول مرة أرى لوسي بهذا الشكل المخيف)

أمسكت مينا بيد أرثر لمواساته (مسكينة أنت يا لوسي ، هل ماتت بسلام ؟!)

(نعم و الحمد الله ..... عندما فتحت عينيها بدت جميلة المنظر مجددا ، إلا أن البروفيسور لم يسمح لي بتقبيل شفتيها ، لذا قبلت يدها و شعرها الطويل الأسود اللون ثم ماتت ، لقد نامت عزيزتي لوسي في سلام إلى الأبد)

(هل هي في أمان الآن ؟ و هل عاد البروفيسور فان هيلسنغ إلى أمستردام ؟)

(بالطبع يا جوناثان ، لكنه أخبرني بأنه سيعود إلى هنا مجددا في حال ما إذا حدث أي شئ طارئ للوسي ، لم أستوعب ما قاله جيدا لأن لوسي قضت نحبها)

نظرت مينا إلى زوجها و عينيه المليئتين بالخوف ، هل فعلا دراكولا من إمتص دم لوسي ؟ هل هي أيضا مصاصة دماء مثله ؟

الفصل السادس

سيدة جميلة من هيث

بعد عدة أيام ، عاد أرثر ويست وحيدا كسير الفؤاد إلى منزله في هيث ، لم يبح كلا من جوناثان و مينا بمخاوفهما حيال دراكولا له ، إلا أنهما ظلا يقرأن الصحيفة كل يوم بإنتظام و إنتباه إلى أن وقعت عيني جوناثان ذات صباح على هذه الكلمات المنشورة فيها (سيدة جميلة من هيث

دب الذعر و الخوف في قلوب أمهات هيث بعد حدوث شئ غريب للغاية في هذه البلدة الواقعة على البحر حيث إختفى فجأة أطفالهن الصغار من منازلهم ، و عندما عثرن عليهم وجدوهم على أحسن ما يرام ، لكنهم جميعا أخبرونا بشئ غريب حدث معهم ، فلقد إلتقوا بسيدة جميلة ذات شعر طويل أسود اللون إبتسمت لهم و قبلتهم ، تم العثور على جميع الأطفال داخل باحة الكنيسة الواقعة في أعلى التل شاحبي اللون و العلامات الحمراء الصغيرة المحفورة في رقابهم ، من أخذهم إلى هناك ؟ هل هي السيدة الجميلة ؟ من صنع هذه العلامات الحمراء على رقاب الأطفال ؟ .....

أسئلة عديدة ليست لها إجابة)

(هل يقصدون يا جوناثان بالسيدة الجميلة لوسي ؟ و الأطفال الصغار أول ضحاياها ؟)

(بت أشعر بالخوف منهم يا مينا ، سأرسل برقية إلى فان هيلسنغ في الحال ، إنه الوحيد القادر على مساعدتنا .... و مساعدة لوسي المسكينة أيضا)

بمجرد أن إستلم البرقية حتى غادر البروفيسور فان هيلسنغ أمستردام في الحال و وصل لتوه إلى منزل آل هاركر في لندن حيث رحبت بهذا الرجل العجوز أيما ترحيب و الدموع تسيل من عينيها (أشكرك على مجيئك إلينا بهذه السرعة)

(ليس لدينا وقت نضيعه ، سأبذل ما بوسعي لمساعدتكم في الأمر الجلل)

في تلك الليلة ، أخبر جوناثان البروفيسور فان هيلسنغ بكل شئ رأه في قلعة دراكولا ليسأله الأخيرة بدوره عدة أسئلة حول ذلك (أنت محظوظ برحيلك من هذه القلعة يا جوناثان ، فمصاصو الدماء لديهم قوى مرعبة للغاية ، و يعد الكونت دراكولا الأقوى من بينهم على الأطلاق .....)

(و أنا ساعدتهم على المجئ إلى إنجلترا (يهمس لنفسه) فما الذي ينوي فعله هنا ؟ هل يمكننا إيقافه عند حده ؟)

(دعني أخبرك أولا كل شئ أعرفه عن مصاصي الدماء ..... فلقد درست تاريخهم و قرأت العديد من الكتب عنهم ، تصل أعمار بعضهم إلى مائة عام ، يعيشون على الدم الذي يأخذونه من الأحياء ، إلا أنهم يظلون على قيد الحياة حتى بعد دفنهم ، يموت ضحاياهم عندما يفقدون جميع دمائهم و يضحون مصاصي دماء مثلهم أيضا !)

(و هذا ما حدث للوسي المسكينة ! ..... كيف يمكننا مساعدتها ؟ هل من طريقة لإنقاذها يا بروفيسور ؟)

(يجب علينا أن نعمل ثلاثة أمور لإيقاف مصاصي الدماء عند حدهم يا مينا ..... أولا علينا فتح تابوت لوسي ، بعد ذلك نطرق قطعة خشبية على قلبها بالمطرقة ، و أخيرا نفصل رأسها عن جسدها لكي ترتاح إلى الأبد)

(يا للفظاعة ! (تهمس لنفسها) آه يا عزيزتي لوسي ، كيف سنخبر أرثر المسكين بذلك ؟)

(علينا الذهاب إلى هيث يا مينا و مساعدة لوسي بأسرع ما يمكن ، جميعنا يحبها و الوحيدون القادرون على مساعدتها)

(يسرني مساعدتها (يهمس جوناثان لنفسه))

(بعد أن نساعد لوسي علينا أن نحارب الكونت دراكولا نفسه ..... ما من شخص في إنجلترا سيشعر بالأمان حتى يتم القضاء على أعظم مصاص دماء على وجه هذه البسيطة)

سافر الأصدقاء الثلاثة إلي هيث في الحال و أخبر أرثر بحقيقة أن لوسي قد أصبحت مصاصة دماء ، بداية إستشاط غضبا قبل أن يهدئ جوناثان من روعه و يخبره بما حدث في قلعة دراكولا ليدرك أن قصتهم المروعة عن حالة زوجته كانت صحيحة للغاية ، فتوجه مع جوناثان و البروفيسور فان هيلسنغ الذي حمل معه حقيبة كبيرة إلى ساحة الكنيسة في وقت متاخر من الليل حيث دفنت زوجته لوسي في مدفن عائلتها هناك ، ففتح المدفن بمفتاحه الخاص و إحاط ثلاثتهم بتابوت لوسي (تأملوا مليا ، هذا المدفن لم يفتح منذ تشييع جنازة لوسي ، أهو كذلك ؟ الآن راقبوني جيدا)

بدأ البروفيسور فان هيلسنغ يفتح التابوت بقطعة معدنية طويلة ، و ما إن رفع الغطاء حتى أشار لأرثر إلى ما بداخله .

بداية لم يرد رؤية زوجته الميتة منذ أسبوعين تقريبا ، بعد ذلك صرخ صرخة مروعة للغاية (يا اللهول ! التابوت فارغ !! أين زوجتي ؟!!)

(أنا سأجيبك يا أرثر ، لوسي متعطشة للدماء ، فخرجت من التابوت بحثا عن ضحية أخرى كي تمتص دمه)

(هذا صحيح يا جوناثان ..... دعونا ننتظر في الساحة ريثما تعود لوسي إلى هنا)

غادر جميعهم المدفن بعدما أوصد أرثر بابه مجددا إلى الساحة عدا البروفيسور الذي ترك جوناثان و أرثر لوحدهما متوجها نحو الجزء المظلم منها ، مر الوقت ببطء شديد و هم منتظرون في أماكنهم ، بعد ذلك و تحت ضوء القمر الساطع رأوا شيئا ما أبيض اللون يتقدم نحو مدفن عائلة لوسي ، فصرخ أرثر مرعوبا و تجمدت ساقيه مما رأه (يا إلهي ! لوسي ؟!)

ما إن سمع هذا الشئ صراخه المدوي حتى إلتف نحوهم ، كان القمر بدرا منيرا تمكنوا من خلاله رؤية كل شئ بوضوح تام ، و ما رأوه بأم أعينهم ملأهم بالرعب الشديد ، بالفعل لقد كان هذا الشئ لوسي بشحمها و لحمها و لكن عيناها تشعان بضوء أحمر مخيف و الدماء تسيل من شفتيها الحمراوين على فستانها الأبيض مبتسمة لأرثر بأنيابها الحادة الظاهرة للعيان (حبيبي أرثر ، هلم إلي)

أمسكت بكلتا يديها و توجهت نحوه بخطى حثيثة (هلم إلي الآن ، لا تتركني أبدا ، لا تتركني أبدا)

تقدم أرثر خطوة أخرى نحوها حيث فتحت ذراعيها لضمه في حضنها قبل أن يركض فان هيلسنغ إليه و يقف أمامه و بيده صليب كبير عرضه أمام لوسي مباشرة التي سرعان ما توقفت عن الإبتسامة و بدا وجهها قاسيا و غاضبا لحظة رؤيتها له ، فأحدثت ضجيجا كالحيوان و ركضت مسرعة نحو مدفنها و أغلقت الباب على نفسها بعدما إختفى مصاص الدماء الذي بداخلها ، صرخ أرثر من فرط دهشته (أوه يا إلهي ! أهذا الشئ المرعب يا بروفيسور هو عزيزتي لوسي ؟!)

(لم تعد هذه المرأة زوجتك العزيزة التي أحببتها يا أرثر ، لقد حل مصاص الدماء محلها داخل جسدها الميت ، لكن لو كنا أقوى منه لتمكنا من مساعدتها كي تستريح بسلام ، أحضر حقيبتي يا جوناثان)

دخل ثلاثتهم صوب المدفن مجددا و الوقت بالكاد كان فجرا ، و عندما فتح البروفيسور فان هيلسنغ التابوت رأوا مصاصة الدماء بداخله و عيناها مفتوحتان و تبتسم لهم إبتسامة مرعبة ، أخرج البروفيسور من حقيبته سندانا صلبا و

طـويلا و مطرقـة ، ثـم نظـر إلـى أرثـر (سـأغرز هـذا السـندان فـي قلبها .... بعد ذلك و بينما نصلي لها نطرقه بالمطرقة)

مـع نظرتـه الأخيـرة لهـا داخـل التـابوت ، حمـل أرثـر المطرقـة و ظـل يطـرق قلبهـا عـدة مـرات إلـى أن خرجـت أضـغاثها المرعبـة مـن دمائهـا التـي غطـت شـفتيها و تلطـخ فسـتانها الأبـيض بالـدم الأحمر بعدما إخترق السندان قلبها المريض .

بعـد ذلـك صـلوا جميعـا لهـا ، و فـي الأخيـر توقفـت عـن الحركـة داخـل التـابوت و أوقـع أرثـر المطرقـة مـن يـده و بالكـاد غـاب عـن الـوعي قبـل أن يمسـك البروفيسـور بـه (أنظـر يـا أرثـر ، لقـد نامـت بسلام الآن)

لقـد كانـت لوسـي ميتـة و ممـددة علـى تابوتهـا بسـلام و إختفـى الـدم مـن وجههـا لتعـود إبتسـامتها الجميلـة إليـه مجـددا (الآن يمكنك تقبيل زوجتك يا أرثر)

مـا إن أخبـر البروفيسـور أرثـر بـذلك حتـى هـرع لتقبيـل شـفتيها فـي الحـال قبـل مغادرتـه المـدفن بمفـرده تاركـا البروفيسـور و جوناثـان لوحـدهما يعمـلان معـا علـى فصـل رأس لوسـي عـن جسـدها ثـم إغلاق تابوتها الخشبي بالمطرقة و المسامير .

و عندما غادروا المدفن أشرق نور الصباح بجوه الدافئ و زقرقة العصافير ، نبه البروفيسور فان هيلسنغ أرثر و جوناثان بأن ما قاموا به للتو نهاية المطاف (لقد بدأنا للتو عملنا ، لكننا لم ننته منه بعد ، علينا إيجاد الكونت دراكولا عاجلا أم آجلا و تدميره إلى الأبد)

الفصل السابع

بيت مصاص الدماء

بعدما غادروا المدفن ناموا ثلاثتهم لساعات طوال ، ثم إستيقظوا متاخرا هذا الصباح و إجتمعوا معا لتشكيل خططهم القادمة حول دراكولا و غيره من مصاصي الدماء حيث تحدث البروفيسور فان هيلسنغ أولا عن الخطر الداهم المحيط بهم القادم من دراكولا الذي يجب أن يعلم حسب وجهة نظره بأعمالهم العدائية ضده داخل إنجلترا حتى يبادر بهجومه المباغت عليهم ، فقاطع أرثر أستاذه صارخا (و لما لا نهاجمه نحن أولا ؟ علينا الذهاب إلى منزله ، أين يقع منزله يا جوناثان ؟)

(لا أستطيع أن أتذكره ، لقد كان غريبا للغاية ، أعتقد أن دراكولا جعلني أنساه تماما ، كافة الأوراق المتعلقة بمنزله في مكتبي بلندن)

(إذن دعنا نرجع جميعا إلى لندن بسرعة ، علينا البحث عن مكان إختباء دراكولا هناك ، سيكون من الأفضل و الأمن أن نذهب معا ، فمصاص الدماء هذا قوي للغاية)

عاد ثلاثتهم إلى لندن بسرعة البرق حيث رجع جوناثان إلى مكتبه سريعا ليبحث عن الأوراق المطلوبة دون أن يتمكن من العثور عليها كأن الأرض إنشقت و إبتلعتها ، فعاد إلى منزله حالا و أخبر الآخرين بما حدث (لقد أخذ دراكولا الأوراق إذن ..... لقد أدرك فعلا بأنه في خطر و من هم أعداؤه أيضا ، لكن مصاصي الدماء تضعف قوتهم في الصباح ، و في الصباح أيضا يبقى دراكولا في واحدة من الصناديق الآتية من ترانسلفانيا ، علينا الذهاب إلى منزله حالا)

(و لكن أين منزله هذا يا سيد هيلسنغ ؟)

فكر البروفيسور العجوز للحظة ثم تأمل جوناثان بإنتباه (لو وافقت على طلبي فسأنومك تنويما مغناطيسيا ، و بعد ذلك ستتذكر أين يقع منزل دراكولا)

(أنا موافق ، إفعل ما بوسعك يا بروفيسور ، فأنا مستعد)

وقف البروفيسور فان هيلسنغ مقابل جوناثان و تحدث إليه بهدوء حيث سرعان ما أغمض الأخير عيناه و بدأ يتنفس ببطء أكثر (الكونت دراكولا لديه منزل في لندن ، أين بالضبط يا جوناثان ؟)

(الكونت يعيش في بيت قديم الطراز كبير الحجم محاط بسور عال للغاية في شرق لندن)

(كيف يمكننا الوصول إليه يا جوناثان ؟)

(عبر أقرب محطة قطار تبعد عن المنزل المذكور سلفا مسافة ميل .....)

(ما إسم هذه المحطة يا جوناثان ؟)

(صعب تذكرها ، كان هناك ضباب كثيف حجب الرؤية عن عيني قبل أن ينقشع من أمامي ، إسم المحطة هو ... برفليت ..... لقد عاد الضباب مجددا ، ضباب ذهبي ، لقد تمكنت من رؤية عينيه الحمراوين ..... إنهما تبحثان عني .....)

(إستيقظ يا جوناثان) بعدما صفق البروفيسور هيلسنغ له كي يستيقظ بسرعة فتح جوناثان عينيه في التو و اللحظة (أنت في خطر داهم ! دراكولا عرف ما كنت أفعله ، لم يعد لدينا المزيد من الوقت !)

(و ماذا سنفعل يا بروفيسور ؟)

(علينا أن نتوجه إلى منزل دراكولا يا أرثر و نبحث عن الصناديق الترابية ..... أنت ستبقين هنا يا مينا ، فدراكولا لن يبتعد كثيرا ، و تذكري جيدا يا عزيزتي ما حدث للوسي)

(لا يمكنني ترك مينا بمفردها يا بروفيسور !)

(ستكون في أمان يا جوناثان ، فما من مصاص دماء يمكنه دخول منزلك إلا بإذن من صاحبه ، لوسي سارت أثناء نومها إلى ساحة الكنيسة و قابلت دراكولا هناك ، إبقي في المنزل يا مينا و ستكونين في أمان)

غادر ثلاثتهم منزل آل هاركر منتصف اليوم عبر القطار حاملين الأشياء التي يحتاجونها في حقائبهم ، و ما إن وصلوا إلى محطة برفليت حتى سأل البروفيسور أحد الركاب بعض الأسئلة التي أجاب بدوره عنها جميعا (رجل طويل القامة داكن البشرة غريب الهيئة إشترى منزلا كبيرا يعيش فيه بمفرده لا يبعد كثيرا عن هذه المحطة حيث أرسلت إليه لاحقا خمسون صندوقا ضخما من الخشب)

كان ثلاثتهم متأكدون من أن الشخص الغريب الذي ذكره الراكب هو دراكولا بعينه و باتوا على مقربة من الطريق المؤدي إلى منزله ، و بينما هم سائرون عليه أصابهم الإرهاق و التعب

من كثرة مشيهم المتواصل صوب منزله القديم قبل أن يرتاحوا من عناء سفرهم لحظة وصولهم إليه أخيرا بعيد غروب الشمس ، ما دفع البروفيسور فان هيلسنغ إلى مطالبة صديقيه بالإسراع قبل حلول الظلام (لقد تأخرنا كثيرا و دراكولا سيغادر الآن المنزل قبل وصولنا إليه ، و بينما يبتعد عن هنا سنقوم بتدمير بقية أماكنه) .

كان سور المنزل العالي محطم في إحدى الجهات مما سهل لهم مهمة تسلقه حيث كانت فيها الحديقة صامتة و خاوية على عرشها و المنزل غارق في الظلام الدامس و وجدوا إحدى النوافذ مكسورة فنفذوا من خلالها لاحقا حيث عثروا هناك على كم هائل من الغبار يعج بها المكان و شموا رائحة كريهة و باردة للغاية و جميع الغرف خالية الوفاض ، كما عثروا أيضا في نهاية رواق طويل على باب خشبي ضخم مفتاحه موضوع في القفل حيث إداره البروفيسور فان هيلسنغ ببطء ، و ما إن فتحه حتى فاحت رائحة فظيعة كالتي شمها جون و هو في قلعة دراكولا ، فهمس له أرثر (المكان تفوح منه رائحة الدم) .

فبينما كان أرثر يصعد الدرج ممسكا بالمصباح حتى ركضت الفئران هاربة من ضوئه الساطع و نزل بضع خطوات إلى

الأسفل ليعثر في طريقه على كنيسة قديمة و على متن حجارتها الباردة و المبللة بالمياه صناديق خشبية (لقد رأيت هذه الصناديق في قلعة دراكولا يا بروفيسور)

(إذن علينا أن نعمل بسرعة ، لا يجب أن يعثر دراكولا علينا هنا ، سنضع في كل صندوق من هذه الصناديق بعضا من الخبز المقدس ، و بعد ذلك سيكون مصاص الدماء هذا تحت قبضتنا)

فتح البروفيسور فان هيلسنغ حقيبته و أخرج المطرقة و المسامير منها و يعطيهمت لجوناثان و أرثر اللذين عملا معا لساعات طوال في فتح الصناديق الخشبية الواحدة تلو الأخرى و وضعوا الخبز المقدس بداخلها ثم قاموا بإغلاقهن من جديد كأن شيئا لم يكن ، بينما ظل البروفيسور واقفا عند الباب الخشبي الضخم يراقب قدوم شخص ما صارخا (دراكولا ! لقد عاد الكونت دراكولا ! ليس لدينا المزيد من الوقت ، أتركا آخر صندوق و إتبعاني حالا !)

ركض جوناثان و أرثر فوق السلالم الحجرية خلف البروفيسور تاركين آخر صندوق خشبي دون فتحه ، و ما إن وصلوا إلى النافذة المكسورة حتى سمعوا صراخا مرعبا ، فإلتفتوا خلفهم بسرعة البرق ليروا الكونت دراكولا قريبا منهم بوجهه الأبيض

الغاضب و عينيه المشتعلتين إشتعال النار الحمراء ، ما إن رأى جوناثان أمامه حتى إنقض عليه كالحيوان البري قبل أن يقف البروفيسور له بالمرصاد عندما رفع عليه الصليب فيتراجع أمامه و ينسحب صارخا (لن تتمكنوا من إيقافي ، فأنا دراكولا ! لقد عشت و قاتلت أعدائي ، و قاتلت جيوشا بأسرها ، فكيف بثلاثة رجال سيوقفونني عند حدي الآن ؟)

و فجأة ! إمتلأ المنزل بالضباب الغريب ، فخرج ثلاثتهم من النافذة و ركضوا عبر الحديقة نحو الجزء المدمر من السور فتسلقوه في الحال ، و في الطريق أشرق نور الصباح بنسيمه العليل على وجوههم البيضاء ، فحثهم البروفيسور على الإسراع إلى محطة القطار لإنقاذ مينا (أسرعا ، علينا العودة إلى مينا ! إنها في خطر !)

هرع ثلاثتهم إلى محطة برفليت و إستقلوا القطار المتجه صوب لندن .

و ما إن وصلوا إلى منزل جوناثان حتى وجدوا صامتا صمت القبور ، فلم يوصد جوناثان بابه الأمامي و صعدوا السلالم إلى غرفة نومه ، فتح جوناثان باب الغرفة بهدوء ثم أطلق صرخة مدوية أفزعت صديقيه اللذين ركضا بسرعة خلفه ليجدوا نافذة الغرفة مفتوحة على مصراعيها و يسطع القمر عليها بنورها

البـــراق و مينـــا مســـتلقية علـــى الشـــرفة يطوقهـــا شـــخص داكـــن اللـــون بجناحيه ، إنه دراكولا !

أمســـك بإحـــدى يديـــه علـــى عنقهـــا مـــن الخلـــف و كبـــل بـــالأخرى يـــديها ، لكنـــه لـــم يكـــن يمـــتص دمهـــا ، بـــل كـــان هنـــاك مـــا هـــو أفظـــع مـــن ذلـــك ! لقـــد كـــان دراكـــولا يضـــع وجـــه مينـــا علـــى جـــرح غـــائر في صدره و يجعلها تمتص دمه !!

إلتفـــت دراكـــولا نحـــوهم و عينـــاه تشـــتعلان غضـــبا أحمـــر اللـــون و الـــدم يســـيل مـــن شـــفتيه الحمـــراوين و أنيابـــه الطويلـــة الناصـــعة البياض ، لقد تناول وجبته الدسمة من الدماء !!!

صـــرخ صـــرخة مدويـــة ملؤهـــا الغضـــب و الغـــيظ علـــيهم ، لكـــن البروفيســـور العجـــوز فـــان هيلســـنغ كـــان مســـتعدا لـــه حيـــث رفـــع الصـــليب أمامـــه مجـــددا ، فغطـــت الغيـــوم وجـــه القمـــر و ضـــوءها الســـاطع بغبارهـــا الحالـــك الســـواد عنـــدما رحـــل دراكـــولا دون أن يعثـــر علـــى أثـــر عـــدا بعـــض الغبـــار الـــذهبي الملطـــخ علـــى جوانـــب الشـــرفة ، أضـــحت مينـــا المســـكينة بالكـــاد تعـــاني مـــن الجنـــون و الخـــوف المحيطـــين بهـــا ، فمـــا إن رأت جوناثـــان أمامهـــا حتـــى بـــدأت بالصـــراخ و العويـــل و الولولـــة قبـــل أن يحملهـــا البروفيســـور إلـــى الســـرير و ينظـــف وجههـــا و عنقهـــا مـــن الـــدم العـــالق فيهمـــا (عزيزتي مينا ، أنت في أمان الآن ، هلا أخبرتني ما حدث ؟)

(أوه يا جوناثان ، لماذا تركتني وحدي ؟)

أمسك بيديها (ظننتك في أمان)

(كنت نائمة و حلمت بأني رأيت سحابة من الغبار الذهبي و رأيت عينين تشتعل نارا حمراء ، شئ ما أيقظني من النوم ، لقد كان صوت طفل يصرخ و يبكي ، عندما نهضت رأيت شيئا ما يتحرك في الحديقة ، فتحت النافذة و سرت نحو الشرفة لأتاكد منه ، فوجدته فجأة واقفا خلفي بشحمه و لحمه و عينيه الحمراوين و فمه القاسي و أنيابه الطويلة الناصعة البياض ! عرفت في الحال أنه دراكولا !! إبتسم لي قائلا (ما من شئ يمكنه إنقاذك الآن ، فأنت تحت قبضتي .....)

غطت مينا وجهها بكلتا راحتيه (ثم وضع شفتيه على عنقي و شرب دمي لا يمكنني إيقافه ، و الآن شربت دمه ، لقد صرت مصاصة دماء مثله تماما)

(لا ، لا يا مينا)

(بل هي الحقيقة يا عزيزي ، لقد شربت دمه و أمتلكت قوته ، يجب أن أفعل ما يريده دون إعتراض هو حتى و لو أمرني بإيذائك يا زوجي العزيز (نظرت إلى البروفيسور فان هيلسنغ و

هـي تـذرف الـدموع مـن عينيهـا) لقـد إنتصـر مصـاص الـدماء هـذا علي)

(كـلا يـا عزيزتـي ، إنـه خـائف منـك ، أنـا متأكـد مـن ذلـك ، مـن الآن فصـاعدا لـن يـتمكن مـن العـيش فـي إنجلتـرا ، و سيسـتخدم الصـندوق الأخيـر الموجـود فـي منزلـه للعـودة إلـى وطنـه ، نـامي الآن قريرة العين ، يجب أن ترتاحي)

لكـن مينـا واصـلت حـديثها معـه (لقـد شـربت دم دراكـولا و إمتلكـت قوتـه ، لكـن علنـا نـتمكن مـن إسـتخدام هـذه القـوة فـي تـدميره شخصـيا ، قـم يـا بروفيسـور تنويمـا مغناطيسـيا قبـل طلـوع الفجـر ، أعتقـد أنـه بإمكـاني إخبـارك بمـاذا يخطـط لـه دراكـولا مـن أفعال قادمة ؟)

جلـس البروفيسـور بجانـب مينـا و حـرك يـده قبالـة وجههـا مـرارا و تكـرارا حتـى أغمضـت عينيهـا (أيـن هـو الكونـت دراكـولا ؟ و بماذا يخطط له الآن ؟)

(إنـه معـتم للغايـة (ردت عليـه بصـوت بطـئ و واضـح) يمكننـي سـماع خريـر المـاء ، آه ، قبضـة مصـاص الـدماء هـذا قويـة ، لكننـي أسـمع صـوت سـفينة و رجـال يصـرخون ، السـفينة جـاهزة

للرحيـــل ، هنـــاك ضـــباب و ظـــلام دامـــس حولهـــا ..... لا أستطيع أن أخبرك أكثر من ذلك .....)

فتحـــت مينـــا عينيهـــا خـــلال دقـــائق معـــدودات ، فبشـــرها جوناثـــان بالنصـــر القريـــب (لقـــد إنتصـــرنا يـــا عزيزتـــي ، دراكـــولا ســـيرحل مـــن إنجلترا ، سنصبح في أمان الآن)

لكـــن البروفيســـور فـــان هيلســـنغ هـــز رأســـه بحـــزن (هـــل نســـيت يـــا جوناثـــان ؟ لقـــد شـــربت مينـــا دمـــه و هـــو شـــرب دمهـــا ، فلـــو ماتـــت قبل تدميره ستتحول إلى مصاصة دماء إلى أبد الأبدين !)

الفصل الثامن

سفر مصاص الدماء

بـــاءت خطـــة الكونـــت دراكـــولا بالفشـــل ، و عـــاد إلـــى موطنـــه الأصـــلي فـــي ترانســـلفانيا ليكـــون بأمـــان تـــام و ليســـتعيد قوتـــه مـــن جديـــد بمجـــرد وصـــوله إلـــى قلعتـــه هنـــاك ، و طالمـــا هـــو علـــى قيـــد الحيـــاة ســـتظل مينـــا فـــي خطـــر داهـــم منـــه و سيضـــطر إلـــى تـــدميرها قبل وصوله إلى مقر إقامته في القلعة .

توجـــه أرثـــر و جوناثـــان إلـــى مينـــاء لنـــدن فـــي اليـــوم التـــالي و عثـــروا هنـــاك علـــى ســـفينة تـــدعى (الملكـــة كـــاثرين) متجـــه صـــوب مدينـــة مطلـــة علـــى ســـواحل البحـــر الأســـود يـــدعى فارنـــا و التـــي ســـافر الكونـــت دراكـــولا مـــن خلالهـــا فـــي يوليـــو الماضـــي عنـــدما تنكـــر بهيئـــة رجـــل طويـــل القامـــة داكـــن اللـــون محمـــولا داخـــل صـــندوق خشـــبي ضـــخم إلـــى الســـفينة المـــذكورة ســـلفا حيـــث غطاهـــا ضـــبابه الذهبي الكثيف قبل أن تبحر .

بـــدأ البروفيســـور فـــان هيلســـنغ بإعـــداد الخطـــط مـــع جوناثـــان و أرثـــر و شـــرحها لهمـــا فـــي الحـــال تـــاركين مينـــا فـــي غرفـــة نومهـــا تســـتريح ، (لا يســـتطيع مصاصـــو الـــدماء إجتيـــاز البحـــر دون مســـاعدة ، و مـــع ذلـــك ســـافر دراكـــولا عبـــر الســـفينة لأنهـــا الأســـهل بالنســـبة لـــه

كـــيلا يضـــطر لتحريـــك صـــندوقه الخشـــبي طـــوال الرحلـــة حتـــى وصـــوله إلـــى اليابســـة ، و عنـــدما ترســـو ســـفينته فـــي مينـــاء فارنـــا ســـينتظر حلـــول الظـــلام حتـــى يحمـــل صـــندوقه منهـــا ، و لاحقـــا ، ســـيحمل الصـــندوق و هـــو بداخلـــه إلـــى قلعتـــه مباشـــرة ، و هنـــاك سيكون في أمان تام)

صـــرخ أرثـــر متحمســـا (إذن ، علينـــا أن نلحـــق بـــه يـــا بروفيســـور ، و علينا .....)

أمســـك البروفيســـور بيـــد أرثـــر (قبـــل أن نقـــرر مـــا علينـــا فعلـــه ، لـــدي شـــئ أود قولـــه لكمـــا ، يجـــب ألا تعـــرف مينـــا شـــيئا عـــن خططنـــا الحالية)

صـــرخ جوناثـــان غاضـــبا (و لمـــا لا يـــا بروفيســـور ؟! لقـــد أذاهـــا دراكولا كثيرا ....)

(لكـــن مينـــا تحـــت قبضـــته يـــا جوناثـــان ، لعلـــه يعـــرف بمـــا تفكـــر ، فلو أخبرناها بخططنا سيصبح على علم بها فورا)

ســـكت البروفيســـور فـــان هيلســـنغ و أرثـــر لحظـــة رؤيتهمـــا صـــديقهما جوناثـــان غـــارق فـــي حزنـــه العميـــق (صـــدقت يـــا بروفيســـور ، لـــن أخبر مينا بأي شئ مهما حدث)

(إذن ، دعونا نقتفي أثر دراكولا في الحال ، لدي بعض المال الكافي لإستئجار سفينة صغيرة الحجم و سريعة ....)

(كلا يا أرثر ، سنلحق به برا ، أي نعم ستجعلنا السفينة نصل بسرعة إلى فارنا ، إلا أن وصولنا إليها سيستغرق أسبوعين كاملين ، أما في البر فيمكننا الوصول إلى هناك خلال أيام معدودات)

(لدرجة أننا سنكون بإنتظاره عندما يصل إلى فارنا)

(أنت لن تأتي معنا يا جوناثان ، بل ستبقى هنا مع مينا للإهتمام بها)

و بينما كان البروفيسور فان هيلسنغ يتحدث مع جوناثان و أرثر فتحت مينا الباب و ظلت واقفة عند عتبته بوجهها الشاحب اللون (لا أحد سيبقى هنا للإهتمام بي يا بروفيسور ، أنا سأرحل معكم)

(ستكونين في خطر داهم يا مينا لو أتيت معنا و إقتربت أكثر من دراكولا .....)

(أعرف أن ما سأقوم به مخاطرة كبيرة يا بروفيسور ، فلو تواصل دراكولا معي كي أراه سأذهب إليه في الحال ، و

لكنـــك ســـتقوم بتنـــويمي تنويمـــا مغناطيســـيا ، و ســـاعتها يمكننـــي إخبارك بما قاله لي)

إبتسم البروفيسور فان هيلسنغ لها (أنت محقة يا مينا)

أمســكت مينــا بيــد زوجهــا جوناثــان تتأملــه و صــديقه أرثــر (كــل يــوم تــزداد قبضــة دراكــولا علــي أكثــر مــن ذي قبــل ، فلــو زادت قبضــته قوة أكثر مما يجب فسيقتلني لا محالة)

و أخيــرا ، وافــق ثلاثــتهم علــى طلبهــا بالإجمــاع (أشــكركم جميعــا ، إذا مــا تحولــت إلــى مصاصــة دمــاء ســأكون عــدوتكم أيضــا ! تذكروا هذا !!)

فــي الأســبوع الثــاني مــن شــهر أكتــوبر ، بــدأ الأصــدقاء الأربعــة رحلــتهم الطويلــة علــى طــول القــارة الاوروبيــة و عرضــها مســتقلين أسرع القطارات قاطبة إلى أن وصلوا فارنا في أيام معدودات .

قــام البروفيســور فــان هيلســنغ بتنــويم مينــا تنويمــا مغناطيســيا كــل يــوم منــذ طلــوع الفجــر حتــى حلــول الظــلام حيــث تبــدأ قبضــة دراكــولا عليهــا تتضــاءل قوتهــا منــذ ذلــك الحــين و هــي تــردد نفــس الكــلام (كــل شــئ مظلــم ، لا يمكننــي ســماع الــريح ، أســمع خريــر الماء الجاري)

و هكـــذا أدرك الأصـــدقاء الأربعـــة بـــأن دراكـــولا لـــم يغـــادر الســـفينة بعد ، فبقوا في فارنا منتظرين آخر الأخبار عنها .

مـــر أكثـــر مـــن أســـبوع ظـــل أرثـــر فـــيهم يتوجـــه إلـــى الميـنـــاء جيئـــة و ذهابـــا كـــل يـــوم يســـأل عـــن قـــدوم ســـفينة (الملكـــة كـــاترين) إلـــى أن أثمـــرت جهـــوده بـــآخر الأخبـــار عنهـــا عنـــدما أخبـــر الآخـــرين بهـــا و قـــد إبـــيض وجهـــه مـــن هـــول الصـــدمة (لقـــد رســـت الســـفينة (الملكـــة كاترين) اليوم في ميناء غالاتز في تمام الحادية ظهرا)

(يـــا إلهـــي ! مـــاذا ســـنفعل ؟! أيـــن تقـــع غـــالاتز هـــذه بحـــق الســـماء ؟!!)

تأملـــت مينـــا خريطتهـــا (غـــالاتز ميـنـــاء صـــغير علـــى نهـــر الـــدانوب و يبعد عنا حوالي ٢٠٠ كيلومتر)

(يجب أن نستقل إحدى السفن المتجهة إلى هناك)

لم يوافق جوناثان أرثر الرأي (أفضل أن نذهب بالقطار)

(و مـــاذا ســـيفعل دراكـــولا يـــا عزيـــزي ؟ (ســـألت مينـــا جوناثـــان بـــبطء) هـــل ســـيعود إلـــى قلعتـــه بـــرا أم بحـــرا ؟ لقـــد بـــدأت الشـــمس بـــالغروب (نظـــرت إلـــى البروفيســـور فـــان هيلســـنغ) بروفيســـور هيلســـنغ ، قـــم بتنـــويمي تنويمـــا مغناطيســـيا و ســـأخبرك حينهـــا مـــا يمكننـــي إخبـــارك به)

بعـــدما نومهـــا مغناطيســـيا ســـألها عـــن مكـــان دراكـــولا و خطواتـــه ، بدايـــة لـــم تـــتمكن مـــن الإجابـــة علـــى أســـئلته قبـــل أن تـــرد عليهـــا جميعـــا فـــي الأخيـــر (أســـمع خريـــر الميـــاه ، الميـــاه تتحـــرك بســـرعة قصـــوى ، أســـمع تغريـــد العصـــافير ، الجـــو مظلـــم ، مظلـــم للغايـــة ..... لـــم أعـــد قـــادرة علـــى إخبـــارك المزيـــد ، قبضـــته تـــزداد قـــوة علي)

الفصل التاسع

العودة إلى قلعة دراكولا

إستغرق وصول الأصدقاء إلى غالاتز يومين كاملين حيث باتوا أكثر قربا من دراكولا من أي وقت مضى ، كانت مينا شاحبة اللون و مريضة للغاية لدرجة أنها في بعض الأحيان لم تتمكن من الرد على أسئلة البروفيسور فان هيلسنغ خلال جلسات تنويمه المغناطيسي ليأخذ بيدها إلى أحد فنادق البلدة كي تستريح تاركين أرثر و جوناثان في محاولاتهما الحثيثة لتعقب أثر دراكولا و تقصي أخبار جديدة عنه .

عاد كلاهما لاحقا بعدما عرفا بأن دراكولا و صندوقه الخشبي على متن قارب سريع يعبر نهر سيروث الذي يخترق جبال كارباثيا و يبعد حوالي ٢٠ كيلومتر عن قلعة دراكولا هناك (علينا أن نعبر هذا النهر في إثره يا بروفيسور)

(هذه مهمتك أنت و أرثر يا جوناثان ، أما مينا و أنا سنذهب إلى قلعة دراكولا برا و نلتقي هناك معا قبل وصول مصاص الدماء هذا و سأضع الخبز المقدس في قبره)

في الثالث و العشرين من أكتوبر ، أستقل البروفيسور فان هيلسنغ و مينا القطار المتجه نحو فيريستي ، و هناك إشترى البروفيسور عربة صغيرة تجرها أربعة خيول سريعة .

كان الفصل شتاء و برده قارس للغاية و الذئاب قريبة منهما تعوي ليل نهار دون أن يمنع البروفيسور فان هيلسنغ من تنويم مينا تنويما مغناطيسيا كل يوم لمعرفة آخر الأخبار حيث مازالت الأخيرة تردد أمامه نفس الكلام دون جديد يذكر (إنه مظلم ، مظلم للغاية ، أسمع خرير المياه يتحرك بسرعة البرق)

نامت مينا طوال اليوم دون أن يتمكن البروفيسور فان هيلسنغ من إيقاظها ، لكنها إستيقظت من نومها بمجرد أن حل الظلام ، إزداد خوف الأخير عليها بعدما رأها شاحبة اللون و نحيلة للغاية و وجهها يتبدل بمرور الوقت أكثر فأكثر إلى مصاصة دماء ، هل ستموت قبل أن تتمكن من تدمير دراكولا ؟

عندما إجتازا الجبال العالية تساقطت الثلوج عليهما في بيستريتس حيث إشترى البروفيسور فان هيلسنغ من هناك حصانا جديدا لعربته ، ثم إستأنفا طريقهما إلى ممر بورغو الذي وصلا إليه قبل منتصف اليوم ، كان هناك على يمينهما طريق ضيق يؤدي إلى القلعة ، الجبال العالية مكللة بالثلوج المتطايرة في الهواء من شدة الرياح العاتية تحت إيقاع عواء

الـــذئاب المخيـــف الـــذي بـــات أكثـــر قربـــا منهمـــا ، هـــل بعـــثهم دراكولا جميعا إليهما ؟

لـــم يكثـــرت البروفيســـور العجـــوز لوجـــودهم أو يخـــف مـــنهم ، فإجتـــاز مســـرعا الطريـــق الضـــيق حتـــى حلـــول الظـــلام ، و فـــي المســـاء شـــعرت مينـــا بتحســـن كبيـــر و أشـــرقت عيناهـــا دون أن تأكل جراء إشتداد قبضة دراكولا عليها يوما بعد يوم .

أشـــعل البروفيســـور النـــار وســـط الطريـــق و أخـــذ مـــن حقيبتـــه بعضـــا مـــن الخبـــز المقـــدس فكســـرها إلـــى قطـــع صـــغيرة ، ثـــم وضـــعها بشـــكل دائـــري علـــى الأرض حـــول مينـــا التـــي نظـــرت إليـــه بحـــذر دون حـــراك و قـــد إبـــيض وجههـــا مـــن هـــول الصـــدمة ، حينهـــا أدرك البروفيســـور أن دراكـــولا قـــد بـــات قريبـــا منهمـــا ، وقفـــت مينـــا و ســـارت بضـــع خطـــوات قبـــل أن تتوقـــف و دون أن تـــتمكن مـــن تجـــاوز حـــدود الـــدائرة المحيطـــة بهـــا ، غطـــى البروفيســـور نفســـه و مينـــا بمعـــاطف صـــوفية ســـميكة ، و رغـــم عـــواء الـــذئاب المخيـــف إلا أن كلاهمـــا شـــعر بالأمـــان و همـــا وســـط الـــدائرة المحيطـــة بهمـــا .

إســـتمرت الثلـــوج فـــي التســـاقط تحـــرك الريـــاح الهوجـــاء دفتهـــا مـــن كـــل جانـــب علـــى هيئـــة عواصـــف ضـــبابية مـــدورة ، و بينمـــا الضـــباب ظـــل يتحـــرك وســـط الريـــاح العاصـــفة إذ بـــه يتحـــول فجـــأة إلـــى ثـــلاث

مصاصات دماء جميلات من اللائي شاهدهن جوناثان في قلعة دراكولا ، رفعن عقيرتهن بالصراخ و الضحك و الدعوة لمينا بالإنضمام إليهن و الخروج من الدائرة المحيطة بها (تعالي يا أختاه ، تعالي ، ها ها ها ..... لقد أصبحت الآن واحدة منا ، ها ها ها)

لم تلتفت مينا إليهن و بالتالي لم تتمكن مصاصات الدماء بدورهن من إقتحام دائرتها المغلقة بقطع الخبز المقدس ، إلا أنهن ظللن يدعين مينا للإنضمام إليهن بنفس الوتيرة السالفة الذكر طوال الليل قبل طلوع الفجر ليتحولن على إثر ذلك إلى ضباب ذهبي كثيف و يتركن مينا تخلد للراحة و النوم العميق .

في الصباح الباكر ، ماتت خيول العربة الأربعة ! فأشعل البروفيسور فان هيلسنغ نارا كبيرة قدر إستطاعته ، ثم ترك مينا نائمة داخل الدائرة ، و بعد ذلك بدأ بعبور الطريق الضيق المؤدي لقلعة دراكولا في مواجهة الثلج الكثيف و الرياح العاتية ، كان خائفا و باردا للغاية و شعر بأن حقيبته باتت أثقل من اللازم و أن قبضة مصاص الدماء تطوق جسده من كل ناحية أثناء سيره في هذا الدرب الخطر حيث بدا له خيال دراكولا أسود اللون مقابل الجبال البيضاء دون أن يثنيه ذلك

الأمر عن مواصلة هدفه المنشود إلى تمكن أخيرا من الوصول إلى هذه المبنى الرهيب ، و عندما قدم إلى باب الكنيسة وجده مفتوحا على مصراعيه ، إلا أن رائحة الهواء بداخله لا تطاق و لم يكن قادرا على تنفسه .

كانت الكنيسة مكتظة بالقبور القديمة ، أكبرهما حجما كان مكتوب عليه إسم (دراكولا) ، ما إن فتح البروفيسور قبره حتى وجده فارغا تماما ، ففتح حقيبته و أخرج منها بعضا من الخبز المقدس و وضعهم بداخله قبل أن يغلقه عليهم بإحكام شديد حتى لا يتمكن مصاص الدماء دراكولا من دخوله مجددا و إلى الأبد ، ثم عثر على قبور مصاصات الدماء الثلاثة البارعات الجمال و نظر شاردا إليهن للحظات و هن ممددات فيهن دون حراك بعيون مفتوحة و الإبتسامات المرسومة على شفاههن الحمر قبل أن يستفيق و يتذكر ما جرى للوسي ، أخرج من حقيبته أوتادا صلبة و وضعهن على قلوبهن ثم طرقهن جميعا بالمطرقة ، ساعتها صرخن مذعورات من طرق قلوبهن بالأوتاد و المطرقة قبل أن يقطع رؤوسهن و تتبخر أجسادهن في غمضة عين دون أن يتبقى منهن سوى كثبان من التراب ، بعد ذلك غادر هذا المكان الرهيب و سار ببطء

أسفل الطريق نحو مينا التي رأت جوناثان من بعيد يقترب منها (زوجي قريب منا يا بروفيسور ، علينا اللحاق به بسرعة)

توقفت الثلوج عن التساقط و أصبح الجو صافيا و باردا و تكاد الشمس الحمراء تهم بالغروب عن كبد السماء ، بدت قلعة دراكولا من ناحية الجبل الشمالي سوداء عملاقة الحجم ، و بعيدا عنهم في الأسفل بدا نهر سيروث أسود اللون مقابل الثلوج الناصعة البياض .

تمكنا من رؤية الطريق الضيق الهائج بالرياح العاصفة و تسلقوا جانبه الجبلي الوعر ، و على طول هذا الطريق إنطلقت عربة مسرعة تحمل على متنها صندوقا خشبيا ضخما ، لقد عاد دراكولا إلى قلعته ! إحاط البروفيسور فان هيلسنغ مينا بذراعيه دون أن تشعر بالخوف منه (أنظر يا بروفيسور ! (كان خلف العربة رجلان فوق جوادهما) إنهما جوناثان و أرثر ، لقد أتيا إلينا مسرعين قبل قدوم عربة دراكولا !)

(يا جماعة ، لقد أوشكت الشمس على المغيب و باتت خلف الجبال ، علينا تدمير دراكولا قبل حلول الظلام)

واصل كلا من جوناثان و أرثر الركض بسرعة متناهية صوب عربة دراكولا حيث ظلت الأشباح السوداء الطويلة المنعكسة

على الثلج الأبيض تلاحقهما على جانبي الطريق إلى أن تمكنا أخيرا من اللحاق بها ، حاول سائقها ضرب أرثر قبل أن يوقعه جوناثان على الأرض و يقاتله مع صديقه لبعض الوقت إلى أن أجبراه على الفرار و هو يصرخ من شدة الخوف ، كبر حجم الأشباح السوداء الملاحقة لهما أكثر من ذي قبل مع بدء الضوء بالتلاشي عن الأنظار ، هل مازال هناك وقت كاف للقضاء على مصاص الدماء دراكولا ؟

وثب جوناثان فوق العربة و دفع الصندوق الخشبي الضخم بقدمه إلى الأرض الثلجية حتى تمكن من كسر قفله و فتحه حيث كان الكونت دراكولا ممددا بداخله و قد شارف الضوء الأخير من أشعة الشمس على الزوال بعدما أطلت على وجهه القاسي ، وضع جوناثان وتدا صلبا طويلا على قلبه ، و بينما كان يقوم بتثبيت هذا الوتد بالمطرقة أطلق دراكولا صرخة مدوية إخترقت عنان السماء ، بعد ذلك إستل أرثر سكينه حول رقبته و فصله عن جسده ، بعدها ساد الصمت التام أرجاء المكان دون أن تراق قطرة دم واحدة على الأرض المغطاة بالثلوج و تحول جسده الشاحب اللون إلى هباء منثور من التراب .

إنـــدفعت مينـــا أســـفل الطريـــق نحـــو جوناثـــان لتعانقـــه و تحتضـــنه بحـــرارة مـــن فـــرط ســـعادتها الشـــديدة لخلاصـــهما مـــن مصـــاص الـــدماء دراكـــولا و مـــن شـــره المســـتطير حيـــث ولـــت ســـنوات حياتـــه المليئـــة بالـــدم و الخـــوف و بثـــت الرعـــب فـــي نفوســـهم و نفـــوس غيرهم إلى غير رجعة .

(النهاية)